

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[506] والخضوع والإِخبات إلى دعوة الحق "إِنَّمَا هُوَ بَيَانُ أُمُورٍ وَاقِعَةٍ تَرْتَبُطُ بِعَظْمَاةٍ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، لِأَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ ثَمَرَةً مِنْ شَجَرَةِ الْإِيْمَانِ، فَالْإِيْمَانُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِثْلُ هَذِهِ الثَّمَرَةِ إِِيْمَانٌ ضَعِيفٌ وَلَا قِيَمَةٌ لَهُ وَلَا يَحْسَبُ لَهُ حِسَابٌ، وَكَذَلِكَ التَّسْلِيمُ وَالْإِيْقَادُ وَالْخُضُوعُ وَالْإِيْطْمِنَانُ لَمَّا وَعَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ، كُلَّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ .. لِأَنَّ الْإِيْعْتِقَادَ الصَّحِيْحَ وَالْعَمَلَ النَّقِيَّ أَسَاسَ وَجُودِ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَالْمَلَكَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْمَحْتَوَى الدَّخْلِيِّ لِلْإِنْسَانِ. 2 - كَلِمَةُ "أَخْبَتُوا" مُشْتَقَّةٌ مِنْ "الْإِيْخْبَاتِ" وَجَذَرُهَا اللَّغَوِي "خَبَتَ" عَلَى وَزْنِ "ثَبَتَ" وَمَعْنَاهَا الْأَصْلِي الْأَرْضَ الْمُنْبَسِطَةَ الْوَاسِعَةَ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَخْطُوَ عَلَيْهَا بِاطْمِنَانٍ وَارْتِيَاحٍ، فَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلَتْ هَذِهِ الْمَادَّةُ "الْخَبَتِ وَالْإِيْخْبَاتِ" فِي الْإِيْطْمِنَانِ أَيْضاً .. كَمَا اسْتَعْمَلَتْ فِي الْخُضُوعِ وَالتَّسْلِيمِ، لِأَنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى الْإِيْطْمِنَانِ فِي السَّيْرِ هِيَ خَاضِعَةٌ وَمُسْتَسْلِمَةٌ لِلْسَّائِرِينَ، فَعَلَى هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْإِيْخْبَاتِ وَاحِداً مِنْ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةِ الْآتِيَةِ، كَمَا وَيَحْتَمِلُ شَمُولُهُ لِجَمِيعِ هَذِهِ الْمَعَانِي، إِذْ لَا مَنَافَاةَ بَيْنَهَا: 1 - إِيْنُ الْمُؤْمِنِينَ حَقّاً خَاضِعُونَ. 2 - إِيْنُهُمْ مُسَلِّمُونَ لِأَمْرِ اللهِ. 3 - إِيْنُهُمْ مُطْمَئِنُّونَ بِوَعْدِ اللهِ. وَفِي كُلِّ صُورَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْ أَعْلَى الصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَةِ فِي الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي يَنْعَكِسُ أَثَرُهَا عَلَى كَامِلِ حَيَاتِهِمْ!.. الطَّرِيفُ هُنَا أَنَّ نَا نَقْرَأُ فِي حَدِيثٍ عَنْ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِيْنُ عِنْدَنَا رَجُلَانِ يُسَمَّيَانِ "كَلِيْباً" لَا يَجِيءُ عَنْكُمْ شَيْءٌ إِلَّا قَالَ: أَنَا أُسْلَمُ، فَسَمَّيْنَاهُ: كَلِيْبُ تَسْلِيمٍ، قَالَ: فَتَرْحَمُ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ "أَتَدْرُونَ مَا التَّسْلِيمُ؟" فَسَكَّنَا فَقَالَ: هُوَ وَاقِعُ الْإِيْخْبَاتِ، قَوْلُ اللهِ: (إِيْنُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ) (1). _____ (1) تَفْسِيرُ الْبِرْهَانِ، ج 2، الصَّفْحَةُ 216.